آليات المفارقة السردية في روايات "مها حسن"

أ.د.نيان نوشيروان فؤاد
جامعة السليمانية- كلية اللغات
قسم اللغة العربية
Niyan.fuad@univsul.edu.iq

م.م.نيگار انور حمه سعيد
جامعة السليمانية- كلية اللغات
قسم اللغة العربية
Negar.hamasaeed@univsul.edu.iq

پوختە

لێکۆڵینەوەکەمان بە ناونیشانی (میکانیزمەکانی جیاوازیی گێڕانەوەیی لە رۆمانەکانی مها حسن)دایە، بەشێکە لە تێزی دکتۆرا بە ناونیشانی (بونیادی شوێن و کات لە ڕۆمانە کانی مها حسن)دا، کە تیایدا تیشک خراوەتە سەر تەکنیکەکانی(گەڕانەوەو پێش وەختە)وەک تەکنیکە کاتیەکان، بە پێی پێداویستیەکانی ناوەڕۆکی بەشەکە پۆلێنبەندی کات لە ناو فەزایڕۆمانەکاندا. خانمە نووسەر جەخت دەکاتەوە لەسەر ئەم تەکنیکانە بۆ بەدەستهێنانی ئامانجی خوازراو لە ڕێگەی تێمە جیاوازەکانەوە.

نووسەر لە تەکنیکی(گەڕانەوە)دا، قورسای دەخاتە سەر دەرخستنی ڕابردووی کارئەکتەرەکان بۆ دەرخستنی ڕووە ڕاستەقینەکەیان، هەروەها لە تەکنیکی(پێش وەختە)جەختی لەسەر ئامرازەکانی کات کردووەتەوە وەک: (پێشبینی، خەون، وەسیەتنامە).

خلاصة

إنَّ البحث الموسوم بعنوان (آليات المفارقة السردية في روايات مها حسن) جزء من أطروحة الدكتوراه بعنوان(البنية المكانية والزمانية في روايات مها حسن)، حيث تناولنا تقنيات الاسترجاع والاستباق كتقنيات زمنية حسب ما يقتضيه محتوى الفصل من تراتبية الزمن داخل الفضاء الروائي وتركيز الكاتبة على هذه التقنيات من أجل تحقيق أهداف خاصة عن طريق ثيمات مختلفة متناولة، حيث ركزت الكاتبة في تقنية الاسترجاع على كشف ماضي الشخصيات للتعرف عليها عن كثب، وكما ركزت في تقنية الاستباق على مجموعة من التقنيات الزمنية كالـ(التنبؤ، الحلم،الوصية).

Abstract

This paper, entitled as ‘The Mechanisms of Narrative Parradox in Maha Hasan’s Novels’, is a part of a PhD thesis which is entitled as ‘The Structure of Time and Place in Maha Hasan’s Novels’. In this study, we focused on the techniques of Flashback and Foreshadowing related to time according

to the content of the research paper and time displacement within the writer's novels. She focuses on these techniques for the sake of different themes. With Flashback, the writer focuses on the past events that the characters went through to reveal their truth. Also, with Foreshadowing, the writer focuses on some important time-related techniques, such as: anticipation, dream sequences, and legacy.

المقدمة:

يتناول البحث آليات المفارقات الزمنية لروايات مها حسن, من خلال: تقنيتي الاسترجاع والاستباق، واعتمدت الباحثة على منهج الوصفي التحليلي لتطبيق المقاطع النصية من روايات الكاتبة على المقاطع التنظيرية ، والبحث مقسم على قسمين ، الاول يتناول تقنية الاسترجاع من خلال تعريفه وتحديد أنواعه و أهميته ثم تطبيق النصوص الروائيةعليه، وثانيا الاستباق، وذلك أيضا عن طريق ذكر تعاريفه و أنواعه و تقسيم الاستباقات في روايات الكاتبة إلى:(التمني،الحلم/حلم اليقظة، والتنبؤ، والوصية) وقد اعتمدت الباحثة على مجموعة من المصادر الأساسية التي أفادت البحث منها:(خطاب الحكاية لـ(جيرار جينيت، بنية النص السردي لـ(حميد الحمداني، بنية الشكل الروائي لـ (حسن بحراوي) و بنية الخطاب الروائي لـ سعيد يقطين و...).

أهداف البحث:

١-يهدف البحث لإظهار أهمية التلاعب بالزمن في الروايات ، حيث يساعد الكاتب على كسر رتابة الملل في السرد.

٢- التركيز على تقنيتي الاسترجاع والاستباق للكشف عن جوانب خفية للشخصيات،وللأحداث.

٣-إثارة فضول القارئ حول مستقبل الأحداث والشخصيات للغوص في الأعماق، من اجل الو صول للحقيقة البحتة التي تريد الكاتبة إظهارها.

اهمية البحث:

١-إظهار أسلوب "مها حسن" الكتابية عن طريق سردها للأحداث حسب تقويم زمنها الخاص،والذي هو عبارة عن زمن غير خطي، زمن متقلب بين الماضي والحاضر والمستقبل، عن طريق تقنيتي (الاسترجاع و الاستباق).

٢-تحفيز القارئ للسير بأحداث الرواية نحو الخاتمة لمعرفة مدى تحقيق الاستباقات في النهاية.

٣-جعل القارئ متنبها ويقضا لكل حلم أو و صية، أو تنبؤ تدرج ضمن صفحات الرواية كونها تكون مفتاح الذي يفتح شفرات الأحداث الغامضة.

آليات المفارقة السردية:

يستخدم الكُتاب تقنيات عدة للتلاعب بالأزمنة في رواياتهم،وذلك لأغراض عدة ، قد تكون لتكثيف زمن الرواية،أو للتشويق،أو لمعرفة القارئ بماضي الشخصية،وفهم السبب من وراء قيامها بتصرفات معينة،فمن خلال الاسترجاع يجعلنا الكاتب نتعرف على طفولة الشخصية والتغيرات التي طرأت عليها، ومن خلال الاستباق، يضعنا في موقف شك

وترقب من إمكانية حدوث الواقعة المذكورة، سـواء أكان عن طريق حلم، أم تنبؤات، أو تهيؤات، قد تحدث أو لا تحدث في نهاية رواية.

ونجد في الروايات،إن الاسـترجاعات أكثر من الاسـتباقات، كونه قد حدث وإنتهى، ولكن الاسـتباقات تكون قليلة نسبة للاسترجاعات، وذلك كي لا يقتل الكاتب الرغبة عند القارئ لمواصلة مسيرة القراءة،لأن القارئ إذا علم ما سيحدث في نهاية الرواية،فلن يتشـوق لإكمالها، وغالبا ما تكون الاسـتباقات مبهمة، وقد يمر على القارئ دون أن يدرك، ولكن عندما يصـل إلى نهاية الرواية ، يدرك بأنه قد مر عليه تلك المعلومة كحلم أو أمنية أو تنبؤ، وهذا يبين ذكاء المؤلف في توظيف الاستباق.

ونجد تقنية الاسـتباق والاسـترجاع بوفرة في روايات كاتبتنا، فهي تجعلنا في سـباق بين الماضـي والحاضـر،عندما نتأقلم مع الماضـي، نجد أنفسـنا عدنا إلى الحاضـر،والعكس صـحيح.إذ إن**" مقتضـيات السـرد كثيرا ما تتطلب أن يقع التبادل فيما بين المواقع الزمنية، فإذا الحاضر قد يرد في مكان الماضي، وإذا المستقبل قد يجيء قبل الحاضر، وإذا الماضي قد يحل محل المستقبل على سبيل التحقيق، أو التعتيم السردي، وإذا المستقبل قد يحيد عن موقعه لتركه للحاضـر على سـبيل "الانزياح الحدثي" أو " التضـليل الحكائي" إلى مالا نهاية من إمكان أطوار التبادل في هذه المواقع الزمنية.**

يتداخل الزمن، ويتغير بالتقدم والتأخر عبر المسـار السـردي، لعله في كل حال يترك فيها موقعه لصـنوه: تتغير دلالته الحقيقية، كالماضي الذي يذر موقعه للمستقبل، والحاضر الذي يدع مكانه للماضي، والمستقبل الذي قد يتقدم فيتصدر لحدث حالا محل الماضي". (مرتاض، ١٩٩٨ ، ١٨٩).

فهذا التلاعب بالأزمنة والذي يشمل الا سترجاع والا ستباق، كلاهما يستخدمان في سبيل إيصال فكرة كيفية قيام المؤلف بالترتيب الزمني في روايته، هل سار على نمطٍ واحدٍ مثلاً؟ أم زمن تصاعدي فقط؟ أم سار نحو زمن تنازلي؟ أم تناول كلتي التقنيتين لزيادة تشويق القارئ، ولفت إنتباهه نحو أحداث الرواية وكيفية سيرها، كي لا يفوته تفا صيل قد تعينه على فهم أحداث الرواية، حيث أن اسـتخدام الاسـترجاع والاسـتباق تعيننا على فهم قدرة المؤلف على خلق التشويق، وكسر ملل ورتابة السرد على وتيرةٍ واحدةٍ .وفيما يلي نعرف كل ما ذكر...

أولاً: الاسترجاع أو الاستذكارأو الارتداد:-

إختلفت المصطلحات عند المؤلفين والقصد واحد وهو عبارة عن:-**" كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصـة".**(جينيت ، ١٩٩٧ ، ٥١).ويقول (سـعيد يقطين) في كتابه (تحليل الخطاب الروائي)،هو عبارة عن: **"إسـترجاع حدث سـابق عن الحدث الذي يحكى".(**١٩٩٧، ٧٧).أوهو: **" تأجيل ذكر بعض الأحداث، أي إغفالها في حينها ثم العودة إليها بعد ذلك".(زيتوني ، ٢٠٠٢ ، ١٠٣).**والتي تتشـكل من **" مقاطع إسـترجاعية تحيلنا على أحداث تخرج عن حاضـر النص لترتبط بفترة سـابقة على بداية السـرد".(بحراوي ،١٩٩٠، ١١٩).**وهو**" عبارة عن إسـتعادة الأحداث الماضية".(النعيمي، ٢٠٠٤ ، ٣٣).**

تعتمد مها حسن هذه التقنية غالبا في رواياتها، إذ تعود بذاكرة شخصياتها إلى أحداث جرت في الماضي البعيد وتربطها بالأحداث الآنية،حيث نلاحظ هذه التقنية في رواية (حي الدهشة) إذ إن (مها حسن) لاتذكر مصير مجموعة من الشخصيات مثل:(سعاد،وحسين،وإدريس) إلا بعد فترة طويلة من زمن الرواية ،وبعد صفحات طوال، بمعنى أصح بعد إنتهاء الرواية ، إذ عندما تنتهي الرواية تأتي ملحق لها وهي ضمن الرواية أيضا وتذكر ما آل إليه مصائر تلك الشخصيات. **" فالقصة لكي تروى، لا بد و أن تكون قد تمت في زمن ما، غير الزمن الحاضر بكل تأكيد، لأنه من المتعذر حكي قصة أحداثها لم تكتمل بعد ...فكل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارا تقوم به لماضيه الخاص... وتحقق هذه الاستذكارات عدداً من المقاصد الحكائية مثل ملء الفجوات التي يخلقها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة أو بإطلاعنا على حا ضر شخصية إختفت من مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد".(بحراوي ، ١٩٩٠ ، ١٢١-١٢٢).**

تناولت كاتبتنا هذه التقنية في كل من روايات (مترو حلب،حي الدهشة، حبل سري، عمت صباحا أيتها الحرب، بنات البراري)،إذ إن الشخصيات تتوارى عن الأنظار وكأن الكاتبة نسيتها في مكان ما، ولكنها تعاود الظهور من جديد وبشكل متمساسك لتملأ فراغا،عندما نعود إلى الشخصية ونتذكرها نشعر بأنها لو لم تذكر مرة أخرى لكانت سببا في خلق فجوة سردية.

وكما أشار(جيرار جينيت) بأنه:**"شخصية يتم إدخالها حديثا ويريد السارد إضاءة سوابقها، أو شخصية غابت عن الأنظار منذ بعض الوقت يجب إستعادة ماضيها قريب العهد". (ينظر: جينيت ، ١٩٩٧ ، ٦١).**

تعد شخصية (أمينة) في رواية (مترو حلب) الوالدة الحقيقية لـ (ساره) والتي تظهر بعد مُضي ثلاثين سنة من عمر إبنتها،والتي تظهر كخالة لها،وبعد مرور فصول على بدأ الرواية، فنحن لانعلم بوجودها حتى يتقرر سفر(ساره) إلى فرنسا لزيارة خالتها بحجة انها مريضة وعلى و شك أن تفارق الحياة وأنها تريد أن ترى(ساره) قبل رحيلها، حينها تظهر حقيقة (أمينة) ودوافعها وأسبابها لتركها إبنتها ولماذا تذكرت أن لها إبنة بعد فوات الأوان، من خلال تذكرها لماضيها. وفي رواية (حبل سري) نجد بين تقلب صفحة وأخرى قد مرت(٢٠) سنة وماتت شخصية(الأم)،وولدت شخصية (الإبنة)قبل أن تموت(الأم)، وكبرت إبنتها وأخذت منها لون عينيها وبعضا من طبائعها الغريبة.

تعتمد (مها حسن) في رواياتها:(حي الدهشة)و(مترو حلب) و(حبل سري) بأكملها على هذه التقنية ،إذ بين سرد حادثة وأخرى، وبين ذكر شخصية وأخرى تظهر، ترجع بنا الكاتبة إلى ماضي تلك الشخصية وتعرفنا عليها، وعلى بيئتها التي شكلتها على هذه الشاكلة.لأن الاسترجاع: **"وسيلة سردية قصصية توجه إضاءتها الخاطفة إلى عرض أحداث سبقت في الوقوع المشهد الإفتتاحي للعمل الأدبي. ويمكن تنمية تلك الارتدادات من خلال حلم يقظة أو ذكريات إحدى الشخصيات ،أو سياق حلمي متتابع أو حوار". (فتحي ، ١٩٩٨ ، ١٤).**

يتناول الكُتاب تقنية الاسترجاع أحيانا لمعرفة القارئ بماضي الشخصية ،وكيف أصبحت على هذه الشاكلة؟ وما الدوافع التي جعلتها تنحو هذا الإتجاه؟ فيسترجع بنا الذاكرة إلى ماضي الشخصية ، تتناول (مها حسن) هذه التقنية

في رواياتها كافةً، فهي تنهي مقطعاً من روايتها بذكر شـخصـية، لتأتي في الصـفحة القادمة على ذكرماضـي تلك الشخصية من خلال العودة إلى الوراء.

نجدُ (سارة) في رواية (مترو حلب) أنها من خلال هواجسها وأحلامها تلمح لنا تفاصيلا عن حياة والدتها الحقيقية، وشخصية(هدهد)الخالة الحقيقية والأم المزعومة لـ(سارة) من خلال أحلام يقظتها تذكر لنا تفاصيل كثيرة كانت غائبة لولا تلك التقنية لما تعرفنا عليها بتلك الطريقة.

ويقوم الاسـترجاع بـمخالفة سـير سـرد الأحداث حيث**" تقوم على عودة الراوي إلى حدثٍ سـابقٍ وهو عكس الاسـتباق. وهذه المخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية نوعا من الحكاية الثانوية . ولا شـيء يمنع من أن تتضـمن الحكاية الثانوية بدورها استرجاعا، أي حكاية فرعية داخل الحكاية الثانوية. يمكن أن يكون الاسترجاع موضوعيا objective (مؤكدا) أو ذاتيا subjective (غير مؤكد). أما وظيفته فهي غالبا تفسيرية: تسليط الضوء على ما فات أو غمض من حياة الشـخصـية في الماضـي، أو ما وقع لها خلال غيابها عن السـرد . والاسـترجاع أنواع: خارجي وداخلي ومختلط وجزئي وتام".(زيتوني ، ٢٠٠٢ ، ١٨).**

وليس شرطا أن يأخذ الفترة المسترجعة في الرواية مساحة كبيرة على الصفحات، فقد يلخص الكاتب سنوات في سطور وقد يلخص ويسرد أياما في صفحات.**وقد أشار (حسن بحراوي)في كتابه:(بنية الشكل الروائي)إذا كان مدى الاسترجاع يقاس بالسنوات والشهور والأيام،فإن سعته سوف تقاس بالسطور والفقرات والصفحات التي يغطيها الاسترجاع من زمن السرد. ينظر:(١٩٩٠ ، ١٢٥-١٢٦).**

نلاحظ في رواية (مترو حلب)أن مساحة الاسترجاع تغطي صفحات طويلة ،ولكنه يذكر في غصون ساعة أو نصف سـاعة، أو يوم كامل ، فنجد أحداث عمر بأكملها تسـرد من خلال سـاعات قليلة. إذ**" إن تحديد مدى الاسـترجاع يعتمد على طبيعته". (إبراهيم ، ٢٠٠٢ ، ١٥٨).**إذن فالأحداث وطبيعتها، وطبيعة الشـخصـيات هي التي تحدد مدتها التي تستغرقها داخل الرواية.

وظائف الاسترجاع:

وللاسـترجاع وظائف متعددة وهي:**" ملء فجوة حكائية أو لتجنب حصـول ثغرات في التسـلسـل الزمني للأحداث".(بحراوي ، ١٩٩٠ ، ١٩٧).وأيضـا يخفف من أعباء الزمن الحاضـر وينبعث الذكريات مجددا كلما إصـطدم الواقع بصور مخالفة لصور الماضي، وهذه الإنبعاثات بدورها تجعل من الشخصية في مواجهة مع وضعها الحاضر، فكلما ذكرت ذكرياتها وجدت نفسها فيها.(ينظر:محي الدين ، ٢٠١٢ ، ١٧٣)،** ومن الوظائف الأخرى للاسترجاع:

١-إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية (شخصية-إطار-عقدة... .

٢-سد ثغرة حصلت في النص القصصي أي إستدراك متأخر لإسقاط سابق مؤقت.

٣-تذكير بأحداث ماضية وقع إيرادها فيما سبق من السرد. أي عودة السارد بصفة صريحة أو ضمنية إلى نقطة زمنية وردت من قبل...

٤-يقارن السارد بين وضعية البطل الحالية ووضعيته في بداية الحكاية سواءً كان ذلك لإبراز تشابه الوضعيتين أو إختلافهما.(المرزوقي ، شاكر ، ١٩٨٦ ، ٧٨-٧٩).

وكأن الشخصيات تهرب من واقعها التي تجعلها تعاني، إلى ما ضي أقل إيلاما، تشعر بدفء الحنان من خلال وجود لحظات شعرت فيها بالإطمئنان، والأمان وكأنها بهذا ترجع إلى طفولتها وبرائتها التي لم تشوبها شائبة الواقع، وهذه الحالة لا تختص بها الشخصيات الروائية فحسب، بل حتى في الواقع عندما تجري الحياة عكس مشيئتنا نجد أنفسنا ومن غير وعي منا قد عدنا إلى لحظات كنا نشعر فيها بالأمان.ولكي لا يقع الكاتب في مطب فجوة حكائية عليه أن يلجأ إلى تقنية الإستذكار والعيش في ماضي الشخصية.وللاسترجاع أنواع منها:- **الخارجي و الداخلي و المختلط، حيث أن الخارجي هو إستعادة ذكرى أحداث جرت قبل بدء أحداث الرواية، والداخلي هو إستعادة ذكرى أحداث جرت بعد بدء أحداث الرواية و المختلط هو المزج بينهما.(ينظر: محي الدين ، ٢٠١٢ ، ١٤٨).**

رواية(حي الدهشة):

تجري أحداث هذه الرواية في حدود (٢٢٨صفحة)، وسنوات تمتد ما قبل عام (١٩٧٠) وتنتهي أحداث الرواية في(٢٠١١) لنجد أنفسنا بعد عدة صفحات بأن الرواية مازالت مستمرة و تنتهي في (٢٠١٥).

تؤرخ (مها حسن) كل فترة من فترات هذه الرواية، فتقوم بتحديد مكان وزمان وقوع الأحداث،حيث تبدأ الرواية في (٢٠٠٥)وتتوالى الأحداث أغلبها بين أعوام (٢٠٠٥-٢٠١٠) ولكن عندما تود الكاتبة أن تعرفنا أكثر على ماضي الشخصيات وأيضا كي تبرر لنا سبب قيام شخصية من تلك الشخصيات بسلوك غريب ومناف للمألوف ، تعود بنا إلى ما ضيها وإلى البيئة التي نشأت فيها.

(حسين، إدريس، الداية أم فيصل، فؤاد)،وغيرهم من الشخصيات التي لانعلم للوهلة الأولى السبب من وراء ردود أفعالهم و وسلوكياتهم، لكن وبعد الرجوع إلى ماضيهم، وبعد النبش في طفولتهم، وصباهم، ندرك السبب من وراء أفعالهم تلك، أو السبب من وراء انفعالهم غير المبرر تجاه الأشياء والأشخاص، ومن تلك الأمثلة: (حسين) الصبي الذي يعمل عند (شريف) في ورشة الحدادة، لا نعرف أنه هو الطفل نفسه الذي بدأت الرواية بسرد حياة أسرته، وبأنه إبن(سميرة وعبدالمنعم)، ولانعلم بأنه هو من قتل والده لأخذ الثأر لوالدته كونه قتلها غما وحسرة كي يتزوج مرة أخرى،فعندما يتوفى والده ويبق من دون أهل كونه فقد والدته بسنوات، وعندما يأتي إلى الحارة للسكن في بيت عمته (أم فؤاد) زوجة القصاب، فهو لا يريد العمل في دكان بيع اللحوم، بل ويعمل عند شريف في ورشة الحدادة.

"كان قد رفض العمل مع زوج عمته في محل الجزارة، لنفوره من مشهد اللحم النيى.كان يمر أمام محل زوج عمته ويدير وجهه، خائفا من رؤية اللحم المقطع والحيوانات المذبوحة، وبدا له ذلك تناقضا لم يفهمه . كيف تمكن من قتل أبيه، وهو الآن يخاف من رؤية لحوم الحيوانات الذبيحة؟!". (٢٠١٨ و ٢٠٢).

من خلال هذا المقطع نجد الإجابة على سؤال بعد أن عرفنا قرابة حسين ببيت أبو فؤاد، قصاب الحارة، ألا وهو: لماذا لم يعمل في دكان زوج عمته؟

والسبب هوأنه وفي كل مرة يشاهد فيها الحيوانات المذبوحة مُعلقة، يتذكر ما فعله بوالده،وهو لا يريد لتلك الواقعة أن تترسخ في ذهنه كي لا يشعُر بالذنب، لأنه ومن وجهة نظره، إستحق والده الموت،ولم يكن نادما كون الوالد نال عقابه لخيانته زوجته، وتسبب في موتها حزنا،من خلال العودة إلى سنوات(٢٠٠٦-٢٠٠٩) نتعرف على هذه الحادثة.

وأيضا السبب من وراءتخطيطه لقتل (شريف) هو أنه اخذ عهدا على نفسه بعدم السماح لأي رجل أن يكسر قلب أي إمراة، مهما كانت صلة قرابتها به وأيا كان يكون الرجل، لأنه صار عنده خوف من ان تموتن أو تقتلن أنفسهن حزنا بسبب الحب / الرجل.ولأنه كان يكن لدكتورة (هند) مشاعر حب الأمومة وكونه عاهد نفسه أن يدافع عنها ويقتل حتى إن لزم الأمر الشخص الذي يتسبب في إيذائها، أيا كان ذلك الشخص، قام بتدبير خطة للتخلص منه كونه تسبب في حزنها وبكائها، وكونه كان السبب في أن تغلق عيادتها وتعرضها للبيع بعد مرور سنة لها في تلك الحارة.

"كان يمكن لحياة حسين المريح، أن تستمر ، لولا تلك الدمعة التي رآها في عيني هند وهي تغادر الحارة منكسرة . أعادت إليه دمعتها صورة أمه، التي أمسكت بنفسها قبل أن تبكي في المطبخ، مقهورة.خاف، في ذلك اليوم، من عودة الكوابيس، خاصة إذا قتلت هند نفسها.خفق قلبه وهو يتخيل خبر وفاتها، وتذكر كيف أفاق على خبر موت أمه.وظل يفكر ، بأنه لن يسامح نفسه، إن قتلت الدكتورة نفسها، قربانا لشريف. ستعاوده الكوابيس، ولن ينجو ضميره من التعذيب، حتى يقتل شريف.فلماذا لا يسارع في قتله قبل أن يحصل مكروه للدكتورة؟ في هذه الحالة، يموت هو فقط، وتبقى هي. وهذا أفضل من أن يموت الإثنان.كان يعرف أنها تحب معلمه. كان يرى ذلك في عينيها. هو وحده من رأى ذلك الحب،ووحده من قدر إمكانية أن تقتل إمرأة نفسها ، إنتقاما من قهر الحبيب وظلمه.كان يحب هند كأنها أمه، كما أحب ميرنا أيضا. لم يكن يفهم ذلك الرابط الغامض بينه و بين بعض النسوة. كأنهن أمهاته.. كأنما ثمة مشيمة عاطفية مليئة بالدم و الحب ، تربطه بهن. كان مرتبطا بهن إلى درجة أنه كان مستعدا لرؤية الدم مراقا في الساحة، على أن يحافظ على هذه الكائنات الجميلة اللواتي يشبهن أمه.كان إندفاعه لنصرتهن، أقوى منه. إذ اعتبر نفسه مسؤلا عن حمايتهن.كل إمرأة مقهورة من رجل تحبه ، ولا يستحقها، هي أمه، وسيقتل ذلك الرجل من أجلها." (٢٠١٨ ، ٢٠٤).

وفي رواية (مترو حلب)،وليد،الصيدلاني الشاب الذي أحب أمينة وتزوجها،والتي تركته بعدعامين من الزواج، ولدرأ الفضائح ولكي تعيش وتكبر إبنته سارة، تزوج من هدهد أخت أمينة، وبعد سنتين أيضا أصبحت زوجته فعليا وأنجبا إبنا وإبنة، لا نعرف عن وليد أكثر من أنه يذهب إلى صيدليته، يأخذ قيلولته كي يرتاح من العمل، ولكن عن طريق الاسترجاع ندرك بأنه كان يكتب مذكراته، ويدون يومياته، واحدة لأمينة حب حياته وزوجته التي تركته، وأخرى لـ(ساره) إبنته.

"كان وليد يدون في ذلك الدفتر السري، ثم يضعه في درج خزانة السرير، قرب رأسه، ويقفل عليه، ويحتفظ بالمفتاح بين مفاتيحه التي لا يمكن لأحد الحصول عليها. وكلما سألته زوجته، عن ذلك الدفتر، يجيبها: "أسراري المالية...ديوني على الآخرين، وديون الآخرين علي... ؛ين أموت، لا تموت حقوقكم ولا حقوق الآخرين".(٢٠١٦ ، ١٦٧).

كتب وليد كل ما كتمه في قلبه، كتب حبه،ألمه، حزنه، وجعه،كل ما أخفاه، وتظاهر بعدم وجوده، تعرى وليد في مذكراته، تعرى من الأكاذيب ومن إخفاء مشاعره الحقيقية، ومن جرحه الذي كان ينزف، ولايراه احد.من خلال مذكراته عرفنا وليد على مدى تعا سته، وبؤ سه، و شقائه، وكم تجلد ذاته وكم تألم بين أمينة التي تركته ولكنه لازال يحبها، وبين هدهد التي ضحت من أجل سارة وتقبلت أن تعيش حياة أخرى غير ماخططت لها، ولكنه لم يقدر أن يحبها.

" حاولتُ الإنتحار ذات يوم وفشلت...لم يعرف أحد هذا... ظنوا أنه مجرد تلبك معوي.غسل الطبيب أمعائي، وسكت عن سري. ولم يقل صديقي الدكتور غسان ، إنها محاولة إنتحار، وأن هدهد التي إتصلت به، أنقذت حياتي.فكرت في السفر إليك. راودني ذلك الحلم طويلا، لكنني قاومت.يمكن أن أ صف لك قرار المقاومة بأنه شعور بالواجب. كانت مشاعري ممزقة بين شوقي لك، وبين واجبي صوب عائلتي: أولادي الثلاثة.كنت واثقا أنك لا تفكرين بي، ولست نادمة. وإلا فجميع الأبواب مفتوحة أمامك للعودة، وخاصة، الباب الأكبر الذي يحق لك دوما إستخدامه: ابنتك ساره.كيف أغامر وأسمح لهذا المراهق الذي يوسوس لي بالسفر إليك، فتعاملينني مجددا باستعلاء، وتذهبين إلى عالمك الواسع: معجبوك من الكثير من الرجال، والنساء . ماذا لو أنني غامرت وذهبت إليك، ثم لم تقبلي حتى بلقائي؟ أنت قادرة على هذا، أراه باديا في طريقتك الفوقية في الحوارات. أنت إمرأة قوية ومشهورة الآن، فهل أفقد المتبقي من كرامتي وكرامة أولادي و أحضر إليك؟

فكرت في أن الموت قد يخلصني منك، من تعلقي بك، من إستحضار تفاصيل حبنا وزواجنا الذي إنتهى سريعا.(...) أنت معي في كل دقيقة, أنت معي في الراهن، ومعي عبر صور الما ضي التي عشناها معا، أتخيلك معي الآن، وقد تغيرت وأصبحت أكثر جمالا، لا بد أنك تذهبين إلى الكثير من أماكن التجميل الفاخرة التي نسمع عنها، وترتادها النجمات... أنت أجمل مما كنت عليه حين كنا معا، فكيف أحتمل كل هذا البعاد. لهذا أحبس نفسي في كل ظهيرة، لأكتب لك هذا الكلام المكرر، الذي يكاد يكون نفسه في كل يوم: حبيبتي أمينة ... ماذا تفعلين الآن؟ متى تعودين إلى رشدك وترجعين إلي؟ هل من المعقول أنني لا أخطر في بالك؟ وساره؟ ألا تشتاقين لساره؟...نعم أنه الكلام ذاته، أكتبه و أنا أبكي كطفل لا يصدق أن أمه هجرته.أنا طفلك الذي لم ينضج يا أمينة. أبكي وأكتب لك في كل ظهيرة، متخيلا أنك ستأتين ذات يوم. تدخلين بصمت. أسمع صوت جرس الباب، ثم صوت طرقات على باب غرفتي هذه، و افتح لأراك أمامي... تجتمع العائلة مجددا ونشرح للعالم بأسره تلك الحكاية. أتخيلك عائدة تصححين ذلك الهجران. تحضنين ساره، ونبكي كثيرا، وتبكي العائلة، كما في الأفلام والمسرحيات التي تمثلين

فيها...ســأكتب لك دائما، أخبرك عما يحدث لنا في غيابك، عني وعن ســاره. حتى حين تعودين، تعرفين عني كل شيء، كأنك هنا، كأنك لم تغادري ذات يوم." (٢٠١٦ ، ١٧٤-١٧٦).

إذن (وليد) ظل يتابع أخبار أمينة، حاول الإنتحار، أراد السفر وترك أولاده الثلاثة والذهاب إليها، فكر في كل محاولة تجعله ينساها، أو كي يجتمع بها من جديد، ولكنه بعد كل محاولة كان يدرك بأنه هو وحده المبادر وقد يُجاوب بالرفض، لذلك ظل متابعا بصمت ويجلد ذاته بنار حب،أ صبح عند الطرف الآخر رمادا، من خلال تقنية الا سترجاع عرفتنا الكاتبة على الوجه الحقيقي لــ(وليد)، الشاب العاشق لزوجته، الحزين والمكلوم على هجرانها، المفتقد لها، والمتأمل في عودتها، فهو بالرغم من معرفته بإستحالة عودتها إليه، إلا أنه في قرارة نفسه لم يفقد الأمل، فـــ(وليد) الهادیء كان يخبيء في داخله بركان من الغضب، من الحزن، الالم، الوجع ، الفقد، الكسرة والحسرة من أقاويل وكلام الناس، ولكنه كان يتظاهر بالتعود، يتظاهر بقبول الواقع كي لا يخدش كبرياءه، وكي لا يجرح (هدهد) التي ضــحت بحياتها من أجل ســاره، ومن أجل الحفاظ على كرامة أسرتها .من جانب آخر لم ينس (وليد) رغم عمق ألمه أن يكتب لـــ(ساره)، ليخبرها بكل شيء، بحقيقته، فكتب لها أيضا، كشفت لنا (مها حسن) عمق وليد الهادیء، المسالم، الذي ترجم كل مشاعره ووجعه إلى حروف مختبئة داخل مذكرات قد لا تقرأ أصلا.

"اليوم خطرت في بالي فكرة أخرى. بعد عشــرين عاما تقريبا من رحيل أمينة، فكرت في الكتابة لك أيضــا؟كما احببت أمينة الغائبة، احببتك أنت. أحببتك حبين، حب الأب لإبنته، وحبي لإبنة أمينة. أحببتك الحب الذي أحببت به سوسن وسمير،وأحببتك لأنك من رائحة أمينة.أخاف وأنا أعترف لك بهذا... أخاف أن تكرهيني. لا تعتقدي أنني لم أحبك لأجلك، بل لأنك منها، بل خذي الأمر على أنه حب مختلف: أنت الجزء الغالي الذي تركته حبيبتي معي. تركته لدي.كنت أموت من الخوف، ذلك الخوف المؤلم اللذيذ، وأنا أراك تكبرين، وتشبهينها.إبتسامتك تشبه إبتسامة أمينة، ملامحك، بل حتى صوتك. (...).كنت تلك النبتة الصغيرة، التي يزهر قلبي أمامها، ويمتليء حبورا، بانتظار الشجرة التي ستكون أمينة الأخرى.لم أمحُك، لم أحذفك، لأضعها محلك... لا أعرف كيف أصف هذا، لست بديلة عنها من دون شك... ولكنك هي بشكل ما ... هي الصغيرة، أنت أمينة الصغيرة. أنظري إلى هذا الدفتر يا صبية، دونت فيه أهم الحوادث التي وقعت لك: تواريخ لقا حا تك- تواريخ زيارا تك الطبية للعيادات والمشــافي- و غا بت بعض التفاصــيل عني لأنني رجل.(...).كنت أحيانا اشــتهي الذهاب معك للتســوق، كما فعلت مع أمينة خلال فترة زواجنا القصيرة جدا. ولكنني كنت رجلا خائفا، بل رجلا مجروحا.

لقد هجرتني أمك وذهبت مع رجل آخر. هذا يحطم ذكورتي. لذلك كنت فاترا أحيانا مُقلا في تعبيراتي.

هجرتني أمك وأنا أحبها، وأغفر لها ذلك الهجران في كل يوم، بل أراها هي الخاســرة حين أراك أمامي في كل يوم، وأتخيل حجم خســارتها لهذا الجمال.(...).إذا كانت لدي أمنية في الحياة، تعادل أمنيتي بلقاء أمينة، فهي ان تقرأ إحداكما هذه التدوينات، أو الأجمل أن تقرآها معا".(٢٠١٦ ، ١٧٧-١٧٨).

لم يقدر (وليد) أن يصل حبه لإبنته ساره، فتمنى أن تصلها كلماته، أحاسيسه المكتوبة، حتى لولم يكن هو على قيد الحياة، لأنه تجرع الحزن وفقد الأحبة أراد لإبنته ألا تحزن، وأن تعرف حقيقة والده، وأنه لم يكن في الحقيقة بلا مشاعر ولكن جرحه في الصميم خلق منه إنسانا يخاف من إظهار مشاعره، حتى لو كانت لإبنته.فحقيقة (وليد) مغايرة تماما عن الذي أظهره كزوج، وكأب ايضا، (وليدان) لا يشبهان بعضهم البعض إلا في الأسماء.

فوظيفة الاسترجاع هنا وظيفة كشفية/إظهارية، كشفت لنا الظروف والدوافع من وراء تحول (وليد) من شاب محب للحياة، طموح، إلى زوج وأب لثلاثة أولاد ، رجل ذو طابع روتيني، له الطقوس نفسها ، والعادات نفسها، بينما في الوقع كان يخفي داخل قوقعته هذه، حقيقته، جرحه، كي لا يعرف أحد مواطن ألمه.

ثانيا/الاستباق:

أيضا تعددت الأسماء والقصد واحد، فقد وردت بمسميات متعددة في الكتب والدراسات الأدبية.كالـــ (الاستشراف، الاســتباق...)وهي عبارة عن:**" كل حركة ســردية تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدما".(جينيت ، ١٩٩٧ ، ٥١).**

فهي تقنية التلاعب بالزمن ، فالروائي يجعلنا ندرك مســبقا ما ســيؤل إليه الرواية فيما بعد، وهي عبارة عن:**" - الإشارة أو الإيحاء مسبقا وقبل الوقوع.-وفي الأدب يقدم المصطلح إيماء يؤذن بما سيحدث بعد ذلك."(فتحي ، ١٩٩٨ ، ١٧٩).**والذي يقوم الروائي من خلاله بكسر رتابة وملل السرد وكسر التوقع حيث هو عبارة عن قفز**"على فترة ما من القصــة وتجاوز النقطة التي وصــلها الخطاب لاســتشــراف مســتقبل الأحداث والتطلع إلى ما ســيحصــل من مستجدات في الرواية".(بحراوي ، ١٩٩٠ ، ١٣٢).**

وكأن المؤلف بإســتخدامه هذه التقنية يفتح لنا باب المســتقبل على مصــراعيه لندرك مالذي يحدث بعد الآن ، أو لنترقب وألا نصاب بالصدمة ، فأحيانا تكون مجرى الأحداث خارجة عن أفق توقعاتنا، وهي **"أحداث لم تقع بعد أي إنها أحداث غير يقينية ". (محي الدين ، ٢٠١٢ ، ١٥٢).**

لانقدر أن نقول بأنها ســتحدث بمجرد ذكرها، فهي قد تكون تهيؤات، أو أوهام أو أضــغاث أحلام ، أو حركة ذكية وإشارة ضمنية من الكاتب لما سيحدث لشخصيات الرواية، إذا نستطيع أن نطلق عليها تقنية الترقب، فهو ذكر سابق لآوانه، إذ يقوم الكاتب بـــ**" تقديم موعدها وإيراس خبرها قبل أن يحين زمنها في سياق الرواية ".(زيتوني ، ٢٠٠٢ ، ١٠٣).**

وقد يريد الكاتب أن يعلن مسبقا ما سيحدث لأبطال قصصه، كي لا يكون مفاجئا بو صورة غير متوقعة، أي أن تلك الأحداث التي يستبق في إيرادها وذكرها تكون فعلا ضمن مجريات السرد ولكن بعد مرور وقت طويل،وعبر صفحات لم تقرأ بعد.حيث **"يقوم الاستشراف بوظيفة الإعلان عندما يخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق". (بحراوي ، ١٩٩٠ ، ١٣٧).**فهو بهذا يفتح أمامنا آفاقا جديدة ويشير إلى حدوثها ضمن الرواية.

و**"هو مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حا ضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد،والا ستباق شائع في النصوص المروية بصيغة المتكلم، ولا سيما في كتب السير والرحلات حيث الكاتب والراوي والبطل أدوار ثلاثة يمثلها فرد واحد. وهذا الإختلاط في الأدوار يؤدي إلى تداخل أزمانها، ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب أو شكل تنبؤ أو إفتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل. والاستباق أنواع مختلفة بإختلاف موقع الحدث المستبق في زمن السرد الأولي، أي زمن حكاية الراوي الأسا سية". (زيتوني ، ٢٠٠٢ ، ١٥-١٦).**إذن الا ستباق لا يأت صريحا مباشرا، بل بأشكال وطرق مختلفة، ومتنوعة، قد تكون تلميحا وليس تصريحا، وقد يروي الشخصية حلما، أو تنبوءا، أو تمنيا،يتمنى حدوثه في المستقبل.

تقوم (مها حسن) وعلى لسان شخصيات رواياتها في كل مرة بطرح تقنية الا ستباق بطريقة مغايرة ، فهي في (حي الدهشة) تستخدم (التنبؤ والوصية، والتمني والأحلام)والتي من خلالها وبطريقة غير مباشرة تخبرنا بما يؤول إليه مصير شخصياتها.

وفي رواية (حبل سري)أيضا تستخدم مها حسن التنبؤ والأحلام وكلاهما تتحققان، فنجد التنبؤ أو الحدس، أو التوقع ، فسرعة (صوفي) الجنونية في قيادة السيارات تجعل من (آلان بيران) أن يتنبأ بوقوع حادثة سير لزوجته (صوفي بيران) ويتكرر ذكر هذا،و التنبؤ أكثر من مرة من خلال سير السرد ، ويتحقق التنبؤ وتتعرض(صوفي) للحادثة ولكنها تنجو منها لتلقي حتفها في حادثة أخرى وهي راكبة دراجة (آلان) الهوائية.

وأيضا تقنية الاستباق عن طريق الحلم يحدث أيضا من قبل (آلان بيران) عندما يحلم أو الأصح أن نقول بأن (ناريمان) تقول له في الحلم وتحت صورة كافكا بأن (باولا) حامل ، رغم عدم وجود أي مؤشر لحمل باولا ، إلا أننا بعد فترة نكتشف أن (باولا) حامل.

و**" في حالات كثيرة يكون الاستشراف مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، هذه هي الوظيفة الأصلية والأساسية للاستشرافات بأنواعها المختلفة . وقد يتخذ هذا الاستباق صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص فتكون المناسبة سانحة لإطلاق العنان للخيال ومعانقة المجهول واستشراف آفاقه".(بحراوي ، ١٩٩٠ ، ١٣٣).**

وفي حالات أخرى تكون **" ظاهرة إ ستحضار المستقبل من خلال تقنية الا ستباق أمر يتعلق بالهموم الشخصية لكل واحدة من الشخصيات في الغالب". (محي الدين ، ٢٠١٢ ، ١٥٤).**

إذ فكثرة المشاكل والمآسي أحيانا تجعل من الشخصية أن تستحضر مستقبلها وتتأمل خيرا، أو قد تخشى المستقبل من كثر ما مر عليها من ظروف، فهذه أيضا من دواعي إستحضار الإستباقات للرواية.

ففي رواية (حبل سري) نلاحظ خوف حنيفة العمة على مستقبل (حنيفة) الطفلة (صوفي بيران لاحقا) وحاجتها للإطمئنان على مستقبل إبنة أخيها تجعلها دائما تتذكر قول العابرالسبيل/العراف العجوز الذي قال لها مرة بأن هذه الفتاة الصغيرة ستصبح ذات شأن كبير في المستقبل، إذا الحالة النفسية والخوف من المستقبل المجهول تجعل من العمة أن

تتذكر تنبؤ العراف كحالة من الإطمئنان على مستقبل الطفلة وخاصة بعد إصدار قرار الأسرة بطلاق والديها، وخوف العمة على مصير إبنة أخيها الوحيدة من غير أب ولا أخ.

و**"يظل الاستباق قليل الحصول في الرواية لأنه لا يمكن للزمن في الرواية أن ينقلنا من معطيات هذا النص الروائي إلى الواقع، بل يجعلنا نمتلك النص من ناحية الزمن . فالزمن في الرواية يفقد الوجوه الإحتمالية التي يمتلكها ويتحول إلى مجرد مدلولات نصية تتبدى في ألفاظه . وفي تقنية الاستباق يتمظهر إمتلاك الزمن، من ناحية نفسية كونه يكثفه و يكفيه بإنسجام مع الذات التي تستبق تدرجه ضمن إطار التوقعات التي تنطلق من النفس معبرة عنها".(محي الدين ، ٢٠١٢ ، ١٧٦).**

ويرجع سبب قلة وجود الاستباقات مقارنة بالاسترجاعات إلى رغبة المؤلف في عدم كشف الأحداث وحرق التشويق لدى القارئ، فعندما يقوم الكاتب مسبقا بعرض أغلبية أفكاره لايكون هناك تشويق ورغبة عند القارئ له في إستكمال الرواية.ولكن إيرادها ضمن خانة تخمينات وتنبؤات وأحلام، هذا ما يجعل من القارئ أن يشعر بالتشويق أكثر ويرغب في السير مع شخصيات الرواية ويتطلع إلى نهايتها ليرى ياترى هل تتحقق هذه التنبؤات أم لا؟

وهناك أنواع من الاستباقات وهي: **استباق تام، استباق جزئي، استباق خارجي، استباق داخلي، استباق مختلط. (ينظر: زيتوني ، ٢٠٠٢ ، ١٦- ١٧- ١٨).**

إستخدام الإستباق في رواية (حي الدهشة) من خلال :

١.التمني،٢.. التنبؤ ، ٣-الوصية ، ٤- الحلم وحلم اليقظة.

أولا/التمني:

يرغب أغلب الناس بالحصول على أمنيات عدة في حياتهم، منها مستحيلة ومنها ممكنة الحدوث، ولولا التمني والأمل بحدوثه لما كان الإنسان يبني ويعمر ولما سار الحياة على ركب التطور والحضارة، ونجد كذلك في الروايات بأن الكتاب يستخدمون التمني كتوقع استباقي للكشف عما سيحدث لاحقا للشخصية .

(مها حسن) وفي روايتها (حي الدهشة) تبين شخصية (درية) ومن خلال أمنيتها بأن تصبح كاتبة وطبيبة كنوال السعداوي،حيث أن درية الحفيدة كانت تتمنى مسارا آخر لحياتها، غير المسار التي كانت مخططا لها،ألا وهو الزواج المبكر من عائلة ميسورة،كباقي الفتيات، بل كانت تريد أن تحقق طموحاتها،ولكنها كانت تظن بأنها فقط أمنية ولن تتحقق، ولكن بعدما تحدثت مع دكتورة هند حديثاً عابراً وكانت تظن أنه فقط لتمضية الوقت، ريثما تعود الجدة من صلاتها، فهي لم تكن تدرك أن أمنيتها ستتحقق، وأنهذا الحديث العفوي ستغير حياتها و ستصل إلى مبتغاها التي طالما ظنت بأنها ستبق حبيسة في درج خزانتها.**"كان الكتاب الذي ترك أثرا مهما لديها هو" أوراقي حياتي" لنوال السعداوي،ومذ قرأته وهي تحلم بأن تصبح مثلها كاتبة وطبيبة".(٢٠١٨ ، ٦٨).**

(دكتورة هند) كعادتها لم تتوان عن مساعدة (درية) في المبادرة لمفاتحة والدها كي يكون دعمها و سندها يساعدها في تحقيق رغبتها، وما تخبردكتور هند شريف أيضا إستباق إذ نجدها تقول:**"إبنتك موهوبة يا شريف(...)، أنا قرأت**

كتابتها. بتكتب بطريقة ساحرة، وإلها مستقبل مهم برأيي.. وإذا كنت بتعتبرني في مقام عمتها، فأنا بتمنى هالبنت تكمل حتى تدرس الطب، وتتخصص مثلي في بريطانيا، وأنا مستعدة أكون معها حتى توصل للندن!".(٢٠١٨ ، ٧٤).

وهذا ما يحدث بالفعل، فبعد سنة من إجراء تلك المحادثة،وبعد تطور الأحداث وقتل شريف،تقرر درية الجدة أن تكون دكتورة (هند) الوا صية على أولاد (شريف)، خا صة بعد أن تتزوج سميحة(زوجة شريف/ والدة درية) ، مرة ثانية، إنتقاما من خيانة شريف لها،ولكي تثبت لنفسها وللناس بأنها إمرأة شابة ومازالت مرغوبة في سوق الزواج.

فتساعد (هند) (درية) على إكمال دراستها، وبالفعل تسافر معها مع (درية) الجدة وخالتها (نجوى) بعد إشتداد الحرب وتدهور الأو ضاع في سوريا/حلب، فتكمل درية الحفيدة كلية الطب في بريطانا،وأيضا تصبح كاتبة وتنشر أول كتاب لها، ويتضح بأنه الرواية التي كنا بصدد قرائتها.

ففي نهاية الرواية وبعد مرور (١٤٦) صفحة على ذكر أمنية دكتورة(هند) بإكمال درية درا ستها وإ صطحابها معها إلى بريطانيا تتحقق الأمنية وبالفعل تسافران، فنجد درية تسرد:**"بعد حصولي على الشهادة و صلتني المنحة البريطانية، وغادرت حلب وحده أولا برفقة (هند)،ثم لحقت بنا عمتي وإبنها وجدتي."(٢٠١٨ ، ٢٢٠).**

"اليوم أنشر هذا الكتاب على عجل، وأعرف أن حكاياته مبتورة بسبب الحرب. رأسي يضج بالقصص والخوف. قصص من هناك، وقصص تولد من هنا. كأنني أجلب حارتي المدهشة، كما تصفها هند، إلى شوارع لندن.لكنني ربما أتنفس عميقا في السنوات القادمة، وأستعيد وجوه أولئك الناس المتروكين هناك، الذين مات اليوم أغلبهم بين القصف والرحيل."(٢٠١٨ ، ٢٢٧-٢٢٨).

وبعد خمس سنوات حيث التأريخ مدون بخريف عام (٢٠١٥) وبطريقة غير مباشرة تخبرنا (مها حسن) بأن درية أصبحت كاتبة وألفت أولى رواياتها التي نحن بصدد قرائتها ودراستها، إذ لا تقول لنا بأنها أصبحت كاتبة بل تضعنا داخل الواقعة".

رغم أن أغلبية الاستباقات في رواية (حي الدهشة)، تحققت في ختام الرواية، إلا أن أمنية أو إستباقا لم يتحقق، ألا وهي أمنية (هند) أن تصبح أما، أن تحمل هي أيضا..

دكتورة(هند) بالرغم كونها دكتورة تساعد أغلبية مريضاتها على الإنجاب،وتعالج مشاكلهن،إلا أنها لم تستطع رغم محاولاتها المتكررة أن تنجح بالحفاظ على حملها في المرات العديدة التي كانت تحمل فيها،وكانت لا تكتمل فرحتها وتجهض، فبسبب حبها الشديد للأجنة ولأن تكون أما،فهي تتزوج مرتين فقط لكي تنجب، ولكن لا تتحقق أمنيتها،وتنتهي زواجها في كلتي المرتين بالإنفضال،ورغم هذا لاتتوقف عن التمني بأن تصبح يوما أما.

"بدأت العمل ولمست نتائج دراستي، ورأيت الفرح في عيون النساء الفاقدات الأمل من الإنجاب، حين حملن عبر المعالجة والتداوي برعايتي. كنت أفرح معهن، وكأن أي طفل تحمله إحدى مريضاتي، هو ابني أيضا. لكنني في الوقت نفسه أنتظر (وأعرف أن هذا سيحدث) مجيء اليوم الذي أتلمس فيه بطني، وأتابع إنتفاخها من أ سبوع إلى آخر.ذات يوم سأشهق من الفرحة، وأنا أشعر بتحركات جنيني، وركلاته الصغيرة المحببة"(٢٠١٨ ، ١١٠).

تتمنى دكتورة (هند) ككل النساء أن تصبح أما وتنجب طفلا،ولكنها ولكونها تواجه مشكلة في الحفاظ على جنينها في كل مرة تحمل فيها،لن تقدر على تحقيق حلمها ذاك، إلا أنها لا تتوقف عن التمني، ونلاحظ ذكاء كاتبتنا في إستخدامها لإستباق لم تحصل فعليا، رغم أنها تصور لنا تحرك مشاعر دكتورة هند نحو شريف، وتتمنى لو يكون هو والد طفلها المنتظر الذي تحلم به، إلا أن نهاية الرواية تختلف كليا، فدكتورة(هند) لم تتزوج ثالثةً، ولم تحمل، لكنها أصبحت بمثابة أم فعلية لـــ(درية)، بحبها وحرصها،وخوفها على مستقبلها، وبمتباعتها المستمرة،فأمنيتها بأن تنجب من شريف تحققت بطريقة أخرى، هي أصبحت بمثابة أم لإبنة شريف.فدكتورة هند لم تحمل بطفلها، والإستباق لم يحصل فعليا، ولكنه حصل عن طريقةإسباغ مشاعر الأمومة على (درية) فدكتورة هند عاملت (درية) كإبنتها التي لم تنجبها فعليا، لكن أنجبتها شعورا،وإحساسا،وقربا وفكرا،وروحا، ففي هذا المقطع تحققت الفكرة بدل الواقع، هند أصبحت ـــما لإبنة والدها (شريف).

ثانيا/ التنبؤ:

يقوم الكُتاب ومن خلال التنبؤات بتهيئة القراء نفسياً للأحداث القادمة،قاطعين به السرد الوصفي الآني من جهة، وأيضا جعل الشخصيات المركزية في الرواية تتخيل شيئا تتمناها، أو تخشاها، أن يحدث.(ينظر:البنداري ، ٢٠١١، ٧٧).

تستخدم (مها حسن) هذه التقنية في روايتها (حي الدهشة) من خلال ربط حالتين مشابهتين لدرية الجدة بفارق(٢٠) سنة، ولأن الحالة الأولى كانت إنذارا بفقدان سندها،زوجها، لذلك نجدها تخشى وقوع كارثة تضاهي ثقل الفاجعة الأولى ، وهذا بحد ذاته تبرير لفزعها وهلعها وتنبؤها بحدوث مكروه.

"راحت أم شريف، تذرع بيتها، وقد ملأ القلق رأسها، وإحتشد في قلبها. عادة تكون نائمة في مثل تلك الساعة، لكن كوابيس غامضة أيقضتها،فغادرت سريرها، وذهبت إلى الحمام لكي تتوضأ وتصلي. الصلاة هي السبيل الوحيد الذي كان يريحها في حالات أرقها النادرة.تثق درية بحدسها حين يهجس بأخبار سيئة، كانت تقول لبناتها: ثمة بوم في داخلي، يشم رائحة الخراب قبل وقوعه، ويفرفر في صدري كأن هناك من قطع عنقه، فيستغيث طالبا الحياة. كانت قد ظنت أن بومها، الذي يجثم على صدرها، وينبئها بحدس جسيم قادم، قد مات. إذ لم تعد تحس به منذ أكثر من عشرين سنة".(٢٠١٨ ، ١٨٩-١٩٠).

من خلال خوف وقلق درية(أم شريف) في تلك الليلة (ليلة مقتل شريف)وعدم قدرتها على النوم ولجوئها إلى الصلاة، جعلتنا نشعر بأن هناك شيء ما قد حدثت لها سابقا جعلتها تميز هذه الحالة وتدرك بأن حادثة مؤلمة ستلم بها وتفجعها من جديد،وذلك من خلال إستخدام الكاتبة لمقطع:**"كانت قد ظنت أن بومها، الذي يجثم على صدرها، وينبئها بحدس جسيم قادم، قد مات. إذ لم تعد تحس به منذ أكثر من عشرين سنة".(٢٠١٨، ١٩٠).**

إذا فهي أصبحت تعلم أن ذلك الإحساس يجلب معه مأساة،وهذه المأساة لم تتكرر من (٢٠) سنة، ونجد بعد أسطر تسرد لنا الكاتبة بأن معرفة درية الأم ،بحلول المأساة مصاحبة لذلك الكابوس يعود إلى حدث معين وقعت وغيرت مجرى حياة أسرتها،إذ نجد أن كلما شعرت درية بذلك الإحساس فقدت رجلا كانت تحبه أكثر من غيره، في المرة الأولى

فقدت زوجها، سندها، شريكها في الحياة،فهي تخ من فقدان آخر ،من فقدان سندها الحالي، إبنها الوحيد، لذلک نجدها تتبع حدثها.

فهي تجرعت ألم الفقد والفراق، بعد رؤيتها لذلک الكابوس، المصاحب للشعور بأن بومة تنعق داخل صدرها ، فهي جربت ذلک المشهد، وعاشت فيه، قبل عشرين عاما.

" صحت بعد أن رأت كابوسا. بركة من الدم تتوسط الساحة، أمام محله.أفاقت مذعورة، ووقفت على الشرفة ، بعد منتصف الليل، ثم توضأت وصلت، وعادت لتنام قرب زوجها، دون أن يخطر في بالها لمسه أو إيقاظه ليخفف أرقها الشديد. حاولت النوم مستعيذة من الشيطان، لكن تلک البومة لم تكف عن النعيق في صدرها، حتى الصباح.حين لم يستيقظ زوجها، عرفت أنه كان ميتا حين أفاقت وخرجت إلى الشرفة. كان قد لفظ آخر أنفاسه، بينما لم تكن هي إلى جواره.خافت درية من إستعادة الذكريات الأليمة لتلک الليلة السوداء. راحت تقرأ السور القرانية، محاولة طرد هذا الخوف، ومحاولة الإقتناع بأن إرادة الله فوق كل شيء، " قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا".ظلت متسمرة بين الشرفة والنافذة، وفجأة لمحت شريف:"(٢٠١٨ ، ١٩٩١-١٩٩٢).

عندما لمحت(درية) إبنها شريف يخرج من البيت تأكدت شكوكها بحدوث ما يفجعها،لأن الوقت كان قد تأخر ولم يكن من عادة شريف أن يخرج في ذلک الوقت، وبعد برهة من الوقت،نجد بأن تحقق حلمها،إذ ترى شريف يخرج من البناية المقابلة لبنياتهم،وهو يتلوى من الوجع وينزف دما،ويحمل أحشائه بيديه،هنا تحقق صحة خوف درية وفزعها من رؤية ذلک الحلم كما تسميها بالمشؤمة، لأن ذلک الحلم مرتبط بالفواجع والموت،وفقدان الأحبة،بل والسند أيضا.

إذن: الاستباق هنا استباق حلمي مصحوب بالتنبؤ. رؤية الحلم = التنبؤ بموت عزيز.

ثالثا/الوصية:

توارث البشر منذ القدم أن يقوموا بتوصية أبنائهم، أو ذويهم للقيام بما يبعد عنهم الأذى والمخاطر، كونهم يدركون أن الحياة فانية وأنهم لن يبقوا إلى الأبد لحمايتهم،وذكر في القرآن الكريم الوصية في أكثر من سورة عن أهمية الوصية والعمل بها .

(مها حسن) تتناول ذكر الوصية في(شريف) في رواية (حي الدهشة) يجمع أسرته، والدته ويطلب منهم تنفيذ وصيته، إن حصل له مكروه.

شريف كونه الإبن الوحيد في عائلته، وكون إبنه الوحيد صغيرا على حمل المسؤلية، فهو يأخذ حيطته في إعلان وصيته لأسرته.

-" دكتورة، بدي قول كلمتين قدام الكل، إعتبروها وصيتي، إذا صار علي شي، والأعمار بيد الله، وماحدا على راسه ريشة".

ثم تحدث أن لا إخوة ذكورا له ليعتمد عليهم، وأخواته متزوجات ويعشن في أحكام أزواجهن، ورغم أنه يحترم فؤاد وهو كأخيه الصغير، لكنه هو الآخر سيصبح لديه عائلة بعد مولد طفله، وأمامه مسؤليات كبيرة. لذلک فإن الشخص الوحيد الذي يمكنه الإعتماد عليه والثقة فيه، هو الدكتورة هند، التي وقفت مع عائلته مرات كثيرة،

والجميع يشـعر صـوبها بالمديونية والطمأنينة. ثم أضـاف أنه لا يريد إطالة الكلام عن مزاياها، فالله وحده يلم أنها في مكانة ولديه و أمه و أخواته، وكأنها من دمه.لذلك فهو يريد أن يضـع إبنته درية أمانة في عنقها، إذا حصـل له شيء، وهي الشخص الوحيد الذي يحدد مصير إبنته إلى حين بلوغها، إذا لم يعد على قيد الحياة.

إرتبكت هند وقالت:" الله يطول بعمرك، وتشوفها دكتورة!".

-" إذا عشت وصارت دكتورة، نذر علي يا درية، أشتغل بعيادتك حاجب، رح أترك شغلي، وأقعد معك!". ثم نظر إلى أدهم وغمزه بتواطؤ مرح: " المحل بيصير لأدهم، شريكي الأساسي!".(٢٠١٨ ، ١٠٢).

نجد في المقطع المذكور آنفا أن شريف يكرر تنبؤ موته، وإمكانية حدوث شيء له ثلاث مرات في أحد عشر سطرا، فنراه في بداية الوصية يقول: **"إذا صار علي شي، والأعمار بيد الله"**، ثم يكرر في ختام وصيته وفي أقل من سطرين يكرر مرتين: الأولى: بذكره **" إذا حصل له شيء"** والثانية: **" إذا لم يعد على قيد الحياة".**

فالكاتبة هنا ومن خلال تكرار شـريف لإمكانية حدوث مكروه له لا يجعله على قيد الحياة ، يقوم بوصـيته، وبما أن إحدى وظائف الحوار هي التأكيدية، فهي وبطريقة غير مباشرة تؤكد لنا بأن شريف يتعرض لشيء، أو لحادثة ربما يفقده حياته،والدليل هنا تكراره ثلاث مرات على الأمر.

فالكاتبة هنا تلمح للقاريء بأن هناك حدث قادم،ولكن قد يغفل عنه القاريء،ويجد نفسـه في ختام الرواية أنه قد نبهته الكاتبة بأن شيئا كهذا يحدث، لكنه وقع في فخ التلاعبات الزمنية التي حاكتها الكاتبة في روايتها.

هذه الوصية تتحق، ويتحقق نبوءة وتوقع شريف، إذ يقتل ولا يستطيع أن يرى إبنته درية وهي تصبح طبيبة، وأيضا تقوم دكتورة هند بتنفيذ وصيته،وتكون الوصية على درية وتمسك بيدها، وتدعمها، وتكون معها .

رابعا/الحلم و حلم اليقظة:

نجد في رواية حي الهلك إسـتباق من نوع اخر، إسـتباق عن طريق حلم، وحلم يقظة ، حلمين مختلفين كل من هند وسميحة وفي نهاية الرواية تتحقق مدلول الحلمان، هنا تظهر لنا براعة وذكاء الكاتبة في إستخدام هذه التقنية، تتحقق عادة الاسـتباقات أو لا تتحقق، ولكن نجد بأن الكاتبة قد أوردت طريقة أخرى لتحقيق الاسـتباقات ألا وهي: تحقيق مفهوم أو فكرة الحلم، أو حلم اليقظة، أي دلالتها في رواية حي الدهشـة ومن خلال حلم اليقظة،تنتقم مديحة من غريمتها دكتورة هند،والتي تغار كثيرا منها وتحاول بشتى السبل أن تقلدها، وتقارن نفسها بها، وتكن لها مشاعر الكره، والظغينة كونها شـابة محبوبة ومثقفة، ويسـتمع الجميع إلى كلامها،ويطبقونها، وكونها أصـبحت جزءا من حياة عائلتها،وهذا ما يجعلها لا تتمنى لها الخير بل وعلى العكس.

"تمنت لو أنها تسـتطيع تقطيع الدكتورة بدلا من فخذة الخروف. ودون أن تنتبه، وجدت أفكارها تتداعى في خيط من الصـور الدموية، تخيلت نفسـها تدخل محل القصـاب، فتأخذ السـاطور الكبير، وتهوي به على رأس هند، لتطيح بعنقها، فيتدحرج رأسـها على الدرج وتبقى عيناها مفتوحتين برعب الخوف، كما رأت في الأفلام الفرنسـية، حين يقصـون رقبة المجرم تحت المقصـلة.حلمت بتقطيع جثتها إربا،لتتخلص من خطرها الذي يهدد حياتها الزوجية.(...) كانت شـبه متيقنة بأنه يخونها مع هذه اللعينة الماكرة، التي تظهر اللطف والحياء والتهذيب ، وهي

أفعى تستحق سحق رأسها ،وتقطيع أوصالها، بساطور أبي فؤاد، أو بنصب مقصلة ونصبها وسط الحارة،(...) سترتدي مديحة أجمل ملابسها، وتضع من العطر الذي إشترته، ماركة عطر هند ذاتها، وستتزين ، وتضع أحمر الشفاه القاني كالدم، ثم تهوي بالمقصلة على رأسها، وتفرمها على الملأ.إرتجفت وسقطت السكين من يدها حين دخل شريف المطبخ".

وهذا ما يحدث بالفعل، فـــ(مديحة) تريد أن تقطع خبر دكتورة هند من الحارة،وبالفعل تقوم بنشر أقاويل،وإشاعات عنها داخل صالون لوليتا،وخاصة عندما تكون إبنة داية الحارة حاضرة في الصالون، لتنتقم منها، وتحدث ما تتمناها، فالداية تقوم بالهجوم،على عيادة دكتورة (هند)، وتقوم بعرض أمام أهل الحارة التي تجتمع بسرعة الصاروخ،إذا ماسمعت صوت شجار من قريب، أو بعيد،وهذه الحادثة تجعل الخوف يملأ قلب دكتورة(هند)،ويجعلها لا تشعر بالأمان.وبالمقابل، تحلم دكتورة (هند) حلما تكاد تكون أقرب إلى الكابوس بـ(مديحة):

"أفاقت هند مذعورة من الكابوس الذي ظل يقلقها طيلة النهار ويجثم على صدرها.فتحت مواقع رموز الأحلام بحسب نظريات التحليل النفسي، حسب فرويد وغيره، لتتمكن من حل ألغاز ذلك الكابوس المخيف الذي أرقها.(...) لم تغادر هند البيت طيلة اليوم، وإتصلت بزينب لإلغاء مواعيد العيادة. شعرت أن ذلك الكابوس شل روحها.توقفت الحجلة في المنام، وسمعت ذلك الصوت الذي يشي بإنكسار شيء ما. غادرت السيارة لتنظر إلى ما علق بعجلتها وتحطم تحتها. وجدت رأس مديحة مهشما، وجلدة رأسها مسلوخة كأنها رأس خروف.إستيقظت خائفة و مرعوبة، وإنتابتها حالة من الإعياء النفسي والضيق. شعرت بحاجة إلى من تثق به، وترتاح في الحديث معه، لتروي له ذلك الكابوس علها تهدأ".(٢٠١٨ ، ١١٤-١١٥).

وفي أواخر الرواية تتحقق حلم/ كابوس دكتورة هند بطريقة غير مباشرة،أيضا إذ بفضلها، وبفضل مساعدتها تستطيع إلغاء وسحق مخططات مديحة لتزويج إبنتها درية ، و جعلها تترك الدراسة، فكل أفكارها تسحق أمام إرادة وعزم ودعم دكتورة هند لدرية.

الرأس= العقل=الأفكار

سحق رأس مديحة تحت عجلة سيارة دكتورة هند= عدم إبقائها،وتهشيمها،وتحطيمها،تحطيم الأفكار والخيالات التي كانت (مديحة) تريد تنفيذها.

العجلة= دوران الزمن

وفعلا وبعد مرور سنة أو أكثر، تساعد دكتورة (هند) (درية الحفيدة)لإكمال درستها الإعدادية ، وتدعمها،وتعينها على قبولها في إحدى الجامعات في بريطانيا كما وعردت سابقا شريف.إذا فـــ(مها حسن) إستخدمت هذه التقنية، تقنية الإستباق عبرالحلم وأحلام اليقظة بشكل رمزي:

العجلة =التطور الذي سحق الجهل.

خاتمة البحث:

توصلت الباحثة في خاتمة البحث إلى استنتاجات منها:

١-إن مها حسن تُسيئ أزمنة رواياتها حسب مقتضيات السرد، حيث أنها تبدأ أحيانا من الوسط أو نهاية الأحداث ثم تعود إلى بدايتها، وذلك من خلال تناولها لتقنية الاسترجاع.

٢- تلقي الكاتبة من خلال تقنية الاسترجاع الضوء على ماضي الشخصيات المذكورة، ما يجعل القارئ لا يتعجب من سلوكياتهم.

٣- قامت الكاتبة ومن خلال تقنية الاستباق بخلق التركيز والانتباه عند القارئ لكي يتمكن من رؤية ومعرفة ما قد يحدث ، وهل ما ذُكر من أحداث عن طريق التنبؤ والاحلام تتحقق أم لا؟.

٤- عدم السير على خُطى الزمن الواقعي (الماضي، الآن ، المستقبل)، لكسر رتابة الملل عند القارئ.

المصادر و المراجع

١-إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة،أحمد حمد النعيمي، المطابع المركزية،عمان/أردن، ط١، ٢٠٠٤.

٢- بناء العالم الروائي، ناصر نمر محي الدين، دار الحوار للنشر والتوزيع،ط١، ٢٠١٢.

٣-بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركزالثقافي العربي، ١٩٩٠.

٤-تحليل الخطاب الروائي(الزمن السرد-التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت.ط٣، ١٩٩٧.

٥- حبل سري،مها حسن،دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، سوريا/دمشق، دار السرد للنشر،ط٢، ٢٠١٩.

٦-حي الدهشة، مها حسن،دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع،سوريا/دمشق،ط١، ٢٠١٨.بيروت،ط٣، ١٩٩٧.

٧-خطاب الحكاية بحث في المنهج ، جيرار جينيت، الهيئة العامة للمطابع الأميرية،ط٢، ١٩٩٧.

٨-الزمان و المكان في روايات غائب طعمة فرمان، د.علي إبراهيم،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية/دمشق، ٢٠٠٢.

٩-في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبدالملك مرتاض،عالم المعرفة، ١٩٩٨.

١٠- لعبة الضمائر دراسات في النص القصصي من عام ١٩٧٩ إمى عام ١٩٩٦، حسن البنداري،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠١١.

١١- مترو حلب، مها حسن، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان/ بيروت، ط١، ٢٠١٦.

١٢-مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سعيد المرزوقي،جميل شاكر،دار الشؤن الثقافية،العراق/بغداد،١٩٨٦.

١٣- معجم المصطلحات الأدبية،إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر،١٩٨٨.

١٤-معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف الزيتوني، دار النهار للنشر،٢٠٠٢.